المقـــدمـــــة

الحمد لله العلي القدير العليم الخبير ، الذى أنزل على عبـده الكتاب ولم يجعل له عوجا "[1] وأشهد أن لا إله إلا الله الكبير المتعـــال ، ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الغفار ، وأشهد أن محمدا عبده ورسولـه البشير النذير خاتم النبيين وإمام المرسلين والقائل صلى الله عليه وسلـــم " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين "[2] .

اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجـــد منك الجـد [3] .

" ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمـــة إنك أنت الوهـاب "[4] .

أمـــا بعـــد . .

فإن الاسلام هو دين الله الخالد الذى فيه الهدى والنـــور لمتاهـات البشرية الحائرة اليوم ، وهو الدين الحق الذى لا يقبل الله مـن الخـلق دينـا سواه : " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فـي الآخرة من الخاسرين "[5] ، ولما كان دين الاسلام بهذه المثابة فـــان شرائعه العظيمة وأحكامه المتزنة قد جاءت من الشمول بحيث تنتظـم أمـور الحياة كافة فى المعاش والمعاد ، وفي العاجل والآجل ، فلا تخلو واقعـة من وقائع الحياة المتكاثرة عن حكم لله تعالى فيها عرفه من عرفه وجهله من

---

(١) سورة الكهف آية (١) .
(٢) رواه البخارى ١٩١/٢
(٣) رواه البخارى ١٠٣/٤
(٤) سورة آل عمران آية (٨) .
(٥) سورة آل عمران آية (٨٥) .

جهله وهذا أمر مقطوع به ،قال تعالى :" ما فرطنا فى الكتاب من شيء"[1] وقال تعالى :" تبيانا لكل شيء " (٢) .

وقال الشافعى رحمه الله : " وليست تنزل بأحد في الدين نازلة إلا وفى كتاب الله تعالى الدليل على سبيل الهدى فيها" (٣) .

ولما كان علم أصول الفقه هو العلم المهيء لاستنباط الأحكام ، والركن الأساسي لبلوغ درجة الاجتهاد ، وتبيين الحلال من الحرام ، بما يمتاز به من تقعيد لقواعد الشرع وقضايا الألفاظ المتداولة ، من منطوق ومفهوم ، ومطلق ومقيد ، وعام وخاص ، ومجمل ومبين ، وحقيقة ومجاز ، وغير ذلك من مدلولات الكلام العربي الذى نزل به الوحي .

وكانت بحوثه إنما تنصب على الكتاب والسنة والاجماع والقياس وما يتعلق بها ويرجع إليها من المعاني والدلالات . كانت أهميته عظيمة ورتبته بين سائر العلوم متقدمة .

إذ أن بنيانه قد قام على النصوص السمعية والحقائق العقلية فارتفع بذلك مكانه وعز سلطانه .

ولذلك فإن مسائله المقررة وقواعده المحررة تؤخذ مسلمة عند كثير من الناظرين ، لاعتقادهم أن مسائل هذا الفن هى قواعد مؤسسة على الحق المبين والنهج القويم ، لكونها مربوطة بأدلة علمية من المنقول والمعقول ، وأشرف العلوم كما يذكر الإمام الغزالى رحمه الله :" مازدوج فيه العقل والسمع ، واصطحب فيها الرأى والشرع ، وعلم أصول الفقه من هذا القبيل فإنه يأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل ، فلا هو تصرف

---

(١) سورة الانعام آية (٣٨) .
(٢) سورة النحل آية (٨٩) .
(٣) الرسالة فقرة ٤٨ .

بمحض العقول، بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول ، ولا هو مبنى على محـــض التقليد، الذى لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد" (١).

وقد برز فى هذا العلم المبارك علماء جهابذة ألفوا فيه فأبدعوا وشرحوا فأطابوا وأطنبوا ، واختصروا فأوجزوا وحرروا، على اختلاف طرائقهم ومذاهبهم فى ذلك، وكان من أفاضل هؤلاء العلماء الإمام تاج الديـــن السبكى رحمه الله ، فهو قعيد في هذا الفن ثقة ثبت راسخ القدم فيـه وقد ألف فيه مؤلفات بديعة فائقة ، وكان أجود مؤلفاته كتـــــاب " جمـع الجوامـع" فهو كتاب مختصر صغير الحجم بين كتب الأصول لكنه فريد فى بابه ، مشتمل على كثير من الدلائل مع التحقيق والتدقيق، والترتيب والتهذيب، ينخرط مع مختصر ابن الحاجب فى سلك واحد ، وإن كانـــت عبارته أوفى وأشرق، من عبارة ابن الحاجب .

وبالجملة فهو أحسن ماصنف فى هذا الفن وأجمعه وأنفعه ، مـع سهولة فى العبارة وسبكها في قالب بديع، يدخل القلوب، ويبهج النفـوس، ويرمي المعنى من أمد بعيد .

ولقد ظل هذا الكتاب لفترة طويلة من الزمان تتلقفه فئام النـاس بأعنة الإعجاب شرقا وغربا أمة بعد أمة وكان منذ صدوره بهذه المنزلـة العظيمة لدى الخاصة والعامة ، فقد ذكر المصنف أنه دار على ألسنـة الناس في زمانه وصار فى كل محفل كمضغة تلوكها الأشداق وتتردد تـردد الأنفاس" (٢) .

وكتاب جليل القدر كهذا لا بد وأن تتناوشه سهام النقاد وتتفحصه

---

(١) انظر مقدمة المستصفى ١ / ٣ .
(٢) انظر قسم التحقيق ص ١٢

قرائح العلماء البزل ، وتتداعى عليه الدلاء من كل حدب ، ثم تصطرع فيه أنظار الناس وتتمكن الحيرة من أفهامهم نحوه ، فيذهبون كل مذهب ، فبعضهم يرى فيه إشكالات وعقدا تحتاج فى نظره إلى إيضاح وتحرير ، وآخر يجد فيه زيادات على غيره ، لا يستسيغ إثباتها فيه ، بل هى عنده نوع من الحشو الذى لا يليق .

ومنهم من تصعب عليه عبارته ، وتدق على ذهنه ألفاظه ، فلا يصل إليها فهمه ، ولا ينطلق بها لسانه ، لذلك كله فقد وردت عليه أسئلة شتى على مختلف نصوصه ومشكلاته ، بعضها من أقران المؤلف ، وبعضها من تلاميذه ، وبعضها من سائر علماء عصره ، فأجاب عن تلك الأسئلة جميعها وأماط اللثام عن مكنون عبارته وأوضحها للكافة أتم إيضاح ، بأسلوب رشيق وبيان بديع. ضمن كتابنا هذا ، وقصد بتلك الإجابات أن تكون كالشرح لمشكل الكتاب(١) فإن هذا المختصر لا يتأتى فهمه بسهولة لكل أحد ، ولا يلين لكل طالب ، بل لا يدريه ويدرك شأوه إلا أولو النظر من حذاق هذا الفن وواردية(٢)

---

(١) انظر قسم التحقيق ص . ٢٣ .

(٢) قال صاحب الآيات البينات ٣ / ١٢ فى معرض رده على الكورانى شارح جمع الجوامع : وهو من هو : قال : إنه تصدى لشرح هذا الكتاب وهو لم يعرف معانيه ، ولم يدرك مراميه ، فكان كثيرا مايقع في الخطاء والزلل ، ومجافاة الصواب .
ثم ذكر أن من يتصدى لشرح «جمع الجوامع» ينبغى أن يكون كامل الأهلية فى الاطلاع والتدقيق ، والتفحص لكافة كتب أهل الأصول ، قديمها ومتأخرها ، لترتاض نفسه فى ذلك ، ويقف على مقاصد هذا العلم .
ومن لم يكن كذلك فإنه يخطىء من حيث يريد الصواب ، ويسىء من حيث يريد الإحسان . .

وهنا أقول : إن كتاب" جمع الجوامع " وإن كنت قد وصفته بما هو أهله فإنه كغيره من كتب البشر يؤخذ من قوله ويترك فليس هو مبرأ عن الخطأ، ولقد نفع الله الأمة بكتب طارت كل المطار ، وما فيها إلا ما وقع فيه عيب، وعرف منه غلط بغير شك ولا ريب. فلا يوجد كتاب في الدنيا سلم إلى مؤلفه فيه، ولم يتعقبه بالتتبع من يليه :

من ذا الذى ما ساء قط .. ومن له الحسنى فقط

والكامل الله في ذات وفي صفة .. والناقص الذات لم يكمل لعمل

وقد وفر الله الكريم دواعي العلماء على الاشتغال بهذا الكتاب أيما شغل شرحا، ونظما، وحفظا ، فذكر له صاحب كشف الظنون (1) أكثر من عشرين شرحا، وعددا كبيرا من الحواشي والمنظومات .

وهكذا تداولت عليه قرائح العلماء، وتبارت في الانتساب إليه ، وما ذاك إلا لجلالته، وعظيم فائدته، وحسن نية مولفه رحمه الله .

وأما كتاب (منع الموانع) الذي هو موضع التحقيق فلا نطيل الحديث عنه هنا إذ سيأتي له فصل يخصه في محله من البحث.

وبالجملة فما قيل في أصله فهو مقول فيه بطريق اللزوم إذ هما من مشكاة واحدة، وإن كان لكل منهما صفته من حيث البسط والاختصار، فلكل مقام مقال .

---

(1) راجع كشف الظنون ١ / ٥٩٥ ومابعدها .

سبب اختيار الموضوع

إن تحقيق المخطوطات العلمية وخاصة النادرة منها يفيد المحقق فائدة علمية كبرى، ويكسبه دُربة وأناة فى معالجة موضوعاتها وتحرير مشكلاتها ، لأنه ملزم بالسير معها خطوة خطوة، في جميع أبواب الفن ومسائله التى تطرقها، فيطلع بذلك على قضاياه العلمية المنتشرة ضمن كتاب كامل ، أو جزء كبير منه، وهذا بخلاف الموضوعات الجزئية التى تنحصر فى قضايا معينة لا تعدوها .

ولما كنت فى مرحلة الماجستير قد أخذت أحد هذه الموضوعات الجزئيه فى علم الأصول، فإننى فى هذه المرحلة قررت أن ألج باب التحقيق ليتسنى لى الاطلاع على معظم أبواب هذا العلم ، ولأعيش معه فى قضاياه ومشكلاته الممتعة والمتعبة .

ولقد لفت نظرى أثناء الدراسة والاطلاع مارأيته من إشادة العلماء بكتاب «جمع الجوامع» لابن السبكي واعتمادهم على مسائله المحررة فى أكثر من كتاب، حتى إن الشيخ العطار رحمه الله يذكر أن كثيراً من علماء زمانه كانوا إذا وردت عليهم مسألة أصولية ليست فى «جمع الجوامع» يقولون هذه مسألة لا أصل لها (١) .

ولما علمت أن لهذا الكتاب المرموق شرحا لمؤلفه التاج السبكى يحل غوامضه ومشكلاته، ويفك عقده ومغلقاته - وإن لم يكن شرحا شاملا لجميع مسائله - يممت خاطرى نحو هذا الشرح ، وتوجهت بعناية للبحث عنه والاطلاع عليه ، وما إن وجدت منه نسخة فى مركز البحث العلمي إلا وبدأت فى قرائتها حتى النهاية، وعندئذ تعاظمت فى نظرى قيمته العلمية ،

---

(١) حاشية العطار ٢/٢٤٧ .

خاصة وأنى وجدته على شكل أسئلة وأجوبة تستوعب مسائل الفن كلـــه ، وهذا نوع بديع من التآليف، لا نعهده فى كتب الأصول ،

لذلك كله وإسهاما منى فى إثراء المكتبة الأصولية بهذا السفـــر العظيم المبارك، فقد قررت من فورى أن يكون أطروحتى العلمية التى أنـــا معنى بها فى هذه المرحلة من الدراسة، غير أن الكتاب فى معظمه لـــم يرتب على ترتيب أصله «جمع الجوامع» وكان قد دار فى خَلَدى أن أقـــوم أنا بهذه المهمة، ثم رأيت من الأفضل عدم ذلك لأنني خشيت أن أعتـــدى على حق مؤلفه ، أو أخل بوضعه الأول فصرفت عني هذا الخاطر، وأبقيـت الكتاب على وضعه السابق كما ارتضاه مؤلفه، فإن متن الكتاب حكم علـــى المؤلف، وحكم على عصره، وبيئته، وهى اعتبارات تاريخية لها حرمتها .

وقد قيل" الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم "

ولكنى قد وضعت جدولا فى آخر الكتاب يرشد إلى ترتيب أسئلة « منع الموانع » وأجوبتها على حسب تسلسل عبارة الكتاب الأصل ، ليسهل على قارئ «جمع الجوامع» الرجوع إلى شرح النص المراد عند احتياجه لذلك .

خطـــة البحـــث

هـذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون فى قسمين، أحدهمـــا للدراسة والثانى للتحقيق ، ثم جاء القسم الدراسى فى تمهيد وبابـــين وخاتمة .

ذكرنا فى التمهيد أثر البيئة فى الشخص، وجعلنا الباب الأول فى دراسة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية فى عصر التـــاج السبكي وفى ضمنه ثلاثة فصول :

الفصـــل الأولـــ :

فى بيان الحالة السياسية السائدة فى ذلك العصر

وتحته ثمانية مباحث :

المبحث الاول : فى تكوين دولة المماليك التي عاش التاج فى عهدها

المبحث الثانى : فى قضاء التتار على الخلافة العباسية ببغداد .

المبحث الثالث : فى الحديث عن موقعة عين جالوت

المبحث الرابع : فى إعادة الخلافة العباسية إلى القاهرة .

المبحث الخامس: فى التصارع على السلطة عند حكام المماليك

المبحث السادس: فى ذكر صور من هذا التصارع

المبحث السابع : فى تشوف الناس إلى مناصب الدولة والسعى فى طلابها

المبحث الثامن : فى موقف التاج السبكى من الأحداث السياسية فى عصره

الفصـــل الثانـــى :

فى بيان الحالة الاجتماعية والاقتصاديـــــة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : فى طبقات المجتمع فى عصر التاج السبكى

المبحث الثانى : فى البدع والخرافات السائدة فى ذلك العصر

المبحث الثالث : فى الناحية الاقتصادية .

الفصـــل الثالـــث :

فى بيان الحالة العلمية والثقافية فى عصر التاج

وتحته ستة مباحث :

المبحث الأول : فى تصوير النشاط العلمى ومطارحة العلماء فى ذلـــك العصـــر .

المبحث الثانى : فى التدرج فى التعليم .

المبحث الثالث : فى ذكر أسباب ازدهار الحياة العلمية آنذاك .

المبحث الرابع : فى اهتمام الأمراء بالعلم والعلماء .

المبحث الخامس : فى ظهور شخصية العلماء ودورهم فى جهاد التتار

المبحث السادس : فى الكلام على التقليد والتعصب المذهبى لدى طوائف الناس .

البـــاب الثانـــى

فى دراسة حياة التاج السبكى وكتابه، والمكانة العلمية التى وصل إليهـا

وتحته سبعة فصول :

الفصـــل الاولـــ :

فـــى حياتـــه العلميـــــــــة

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : فى مولـــــده

المبحث الثانى : فى اسمه ونسبه

المبحث الثالث : فى نشأته وطلبه للعلم

المبحث الرابع : فى عقيدتـــــه

المبحث الخامس : فى شيوخـــــه

المبحث السادس : فى تلاميـــــذه

المبحث السابع : فى ثناء العلماء عليـــه

الفصـــل الثانـــــى :

فى دراســـة الكتاب

وفى ضمنه خمسة مباحث:

المبحث الأول : مصطلحات المصنف فى الكتاب

المبحث الثانى : مصادر الكتاب

المبحث الثالث : أهمية الكتاب

المبحث الرابع : ملاحظات حول الكتاب

المبحث الخامس : أسلوب المؤلف ومنهجه فى الكتاب

الفصـــل الثالـــــث :

فى التعريف بكتبه الأصولية واعتداده بأرائه فيها

وتحته ثلاثه مباحث :

المبحث الأول : التعريف بكتبه الأصولية الأربعة

المبحث الثانى : اعتداده بأرائه فيها

المبحث الثالث : انصافه لخصومه ورجوعه إلى الحق فى مواقفه

الفصـــل الرابـــــع :

فى مكانته العلمية والمجالات التى برز فيها وفاق .

ويشتمل على تسعة مباحث :

المبحث الأول : ابن السبكى الأصولى

المبحث الثانى : ابن السبكى الفقيـــه

المبحث الثالث : ابن السبكى المجتهد

المبحث الرابع : ابن السبكى المحدث

المبحث الخامس : ابن السبكى المؤرخ

المبحث السادس : ابن السبكى النحوى

المبحث السابع : ابن السبكى الأديب

المبحث الثامن : ابن السبكى الشاعر

المبحث التاسع : ابن السبكى المصلح الاجتماعى

الفصل الخامس :

فى الأعمال العلمية والمناصب التى شغلها فى حياته

ويتضمن مبحثين .

المبحث الأول : فى الافتاء والتدريس

المبحث الثانى : فى توليه منصب القضاء والخطابة

الفصل السادس :

فى موقفه من خصومه

والكلام على عزله عن القضاء وسجنه

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : فى محنته الأولى

المبحث الثانى : فى محنته الثانية

المبحث الثالث : فى محنته الأخيرة

الفصل السابع :

فى ذكر مؤلفاته ووفاته

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : فى ذكر مؤلفاته وآثاره العلمية

المبحث الثانى : فى وفاته

الخاتمة

أما القسم الثانى فهو قسم التحقيق وسيأتى الكلام على منهجى فيه فى مقدمة التحقيق إن شاء الله تعالى . .

واستمد من الله التوفيق والإعانة فهو نعم المولى ونعم النصير. .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .